تدبّرات وفوائد من تفسير:

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

لأبي البركات النسفي

انتقاء:

د. إبراهيم بن فريهد العنزي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه تدبّرات وفوائد انتقيتها من تفسير **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي، المتوفى سنة: ٧١٠هـ، أسأل الله عز وجل أن ينفع بها ويجعلها ذخراً:

الجزء الأول:

سورة الفاتحة:

١- {بِسْمِ اللَّهِ} تعلقت الباء بمحذوف تقديره: بسم الله أقرأ، أو أتلو.. وإنما قدر المحذوف متأخراً؛ لأن الأهم من الفعل والمتعلِّق به هو المتعلَّق به.. وإنما قدم الفعل في (اقرأ باسم ربك)؛ لأنها أول سورة نزلت في قول، وكان الأمر بالقراءة أهم، فكان تقديم الفعل أوقع.

٢- {الرحمن} فعلان من رحم.. وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم؛ لأن في الرحيم زيادة واحدة، وفي الرحمن زيادتين، وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى، ولذا جاء في الدعاء (يا رحمن الدنيا)؛ لأنه يعم المؤمن والكافر، (ورحيم الآخرة)؛ لأنه يخص المؤمن، وقالوا الرحمن خاص تسمية؛ لأنه لا يوصف به غيره، وعام معنى لما بينا، والرحيم بعكسه؛ لأنه يوصف به غيره، ويخص المؤمنين، ولذا قدم الرحمن وإن كان أبلغ، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

٣- {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الوصف الجميل على جهة التفضيل، وهو رفع بالابتداء وأصله النصب.. والعدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره.

٤- {الرحمن الرحيم} ذكرهما قد مر، وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة؛ إذ لو كانت منها لما أعادهما، لخلو الإعادة عن الإفادة.

٥- {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} التخصيص بيوم الدين؛ لأن الأمر فيه لله وحده.

٦- وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه وتعالى، من كونه رباً أي: مالكاً للعالمين، ومنعماً بالنعم كلها، ومالكاً للأمر كله يوم الثواب والعقاب، بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله (الحمد للَّهِ) دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه.

٧- {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} مما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل: إياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك، وقدمت العبادة على الاستعانة؛ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة.

٨- {صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} بدل من الصراط، وهو في حكم تكرير العامل، وفائدته: التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده.

سورة البقرة:

٩- {لَا رَيْبَ فِيهِ} وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق، وقد ارتاب فيه كثير؛ لأن المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له؛ لأنه من وضوح الدلالة له وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه، لا أن أحداً لا يرتاب.

١٠- {أولئك على هُدًى} نكر (هدى)؛ ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه.

١١- {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} أدخل من التبعيضية، صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه، وقدم المفعول دلالة على كونه أهم.

١٢- {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} انظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى، وهي ذكر اسم الإشارة [أولئك] وتكريره، ففيه تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح،

١٣- تعريف (المفلحون) فيه دلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة.. وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا.

١٤- {وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السفهاء} فيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة.

١٥- {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى} وإنما قال: اشتروا الضلالة بالهدى، ولم يكونوا على هدى؛ لأنها في قوم آمنوا ثم كفروا أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ فلما جاءهم كفروا به.. وفيه دليل على جواز البيع تعاطياً لأنهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء.

١٦- {ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ} والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه، وما يمسك فلا مرسل له، فكان أبلغ من الإذهاب، ولم يقل: ذهب الله بضوئهم، لقوله: (فلما أضاءت)؛ لأن ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، والمراد إزالة النور عنهم رأساً، ولو قيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً.

١٧- {يجعلون أصابعهم في آذانهم} إنما ذكر الأصابع ولم يذكر الأنامل، ورؤوس الأصابع هي التي تجعل في الأذان، اتساعاً، كقوله: (فاقطعوا أيديهما) والمراد: إلى الرسغ، ولأن في ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل.

١٨- {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ} ذكر مع أضاء (كلما)، ومع أظلم (إذا)؛ لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقف.

١٩- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} قال علقمة: ما في القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لأهل مكة وما فيه يا أيها الذين آمنوا فهو خطاب لأهل المدينة.. و (يا) حرف وضع لنداء البعيد، وأي والهمزة للقريب، ثم استعمل في مناداة من غفل وسها، وإن قرب ودنا، تنزيلاً له منزلة من بعد ونأى، فإذا نودي به القريب المقاطن فذاك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معتنى به جداً، وقول الداعي: يا رب، وهو أقرب إليه من حبل الوريد: استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها عن مظان الزلفى، هضما لنفسه.

٢٠- {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ} فيه دليلان على إثبات النبوة: صحة كون المتحدى به معجزاً، والإخبار بأنهم لن يفعلوا، وهو غيب لا يعلمه إلا الله، ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم، لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم، سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم، فجيء بـ(إن) الذي للشك، دون (إذا) الذي للوجوب، وعبَّر عن الإتيان بالفعل؛ لأنه فعل من الأفعال، والفائدة فيه: أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً، إذ لو لم يعدل من لفظ (الإتيان) إلى لفظ (الفعل) لاستطيل أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله..

٢١- وشرط في اتقاء النار: انتفاء إتيانهم بسورة من مثله؛ لأنهم إذا لم يأتوا بها، وتبين عجزهم عن المعارضة، صح عندهم صدق الرسول، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وأبوا الانقياد، استوجبوا النار، فقيل لهم: إن استبنتم العجز، فاتركوا العناد، فوضع (فاتقوا النار) موضعه؛ لأن اتقاء النار سبب ترك العناد.

٢٢- { فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } إنما جاءت النار منكرة ثمّ [أي في قوله: نارا وقودها الناس والحجارة]، ومعرفة هنا؛ لأن تلك الآية نزلت بمكة، ثم نزلت هذه الآية بالمدينة، مشارا بها إلى ما عرفوه أولاً.

٢٣- { فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } إنما قرن الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أنداداً.

٢٤- {أُعِدَّتْ للكافرين} فيه دليل على أن النار مخلوقة، خلافاً لما يقوله جهم.

٢٥- {وبشر الذين آمنوا وَعَمِلُواْ الصالحات} والمأمور بقوله: (وبشر): الرسول عليه السلام، أو كل أحد، وهذا أحسن؛ لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به.

٢٦- {وَأُتُواْ بِهِ متشابها} إنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا، ولم تكن أجناساً أخر؛ لأن الإنسان بالمألوف آنس، وإلى المعهود أميل، وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه، وعافته نفسه؛ ولأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد، ورأى فيه مزية ظاهرة، وتفاوتاً بيّناً، كان استعجابه به أكثر، واستغرابه أوفر، وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها، دليل على تناهي الأمر، وتمادي الحال في ظهور المزية، وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم في كل أوان.

٢٧- {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} ولم يقل: طاهرة؛ لأن مُّطَهَّرَةٌ أبلغ؛ لأنها تكون للتكثير، وفيها إشعار بأن مطهّراً طهرهن، وما ذلك إلا الله عز وجل.

٢٨- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} (أما) حرف فيه معنى الشرط.. وفائدته في الكلام: أن يعطيه فضل توكيد.. وفي إيراد الجملتين مصدرتين به، وإن لم يقل: فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون: إحماٌ عظيم لأمر المؤمنين، واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق، ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم، ورميهم بالكلمة الحمقاء.

٢٩- {فَبَدَّلَ الذين ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الذين ظَلَمُواْ رِجْزًا} في تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح أمرهم، وإيذان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم.

٣٠- {قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هزوا قال أعوذ بالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهلين} لأن الهزء في مثل هذا، من باب الجهل والسفه، وفيه تعريض بهم، أي: أنتم جاهلون حيث نسبتموني إلى الاستهزاء.

٣١- {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى}، قيل: إنما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم؛ لأنها أفضل قرابينهم، ولعبادتهم العجل، فأراد الله تعالى أن يهون معبودهم عندهم. وكان ينبغي أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة، على الأمر بذبحها.. ولكنه تعالى إنما قص قصص بني اسرائيل تعديداً لما وجد منهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها، وهاتان القصتان وإن كانتا متصلتين، فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل؛ لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية التقريع.

٣٢- {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ (أَشَدُّ قَسْوَةً)} إنما لم يقل: (أقسى) لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة.

٣٣- {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ (عَلَى الْكَافِرِينَ)} أي: عليهم، وضعاً للظاهر موضع المضمر، للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم.

٣٤- {ولتجدنهم أحرص الناس (على حياة)} التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة.

٣٥- {قُلْ مَن كَانَ عَدُوّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ} فإن جبريل نزل القرآن، ونحو هذا الإضمار -أعني إضمار ما لم يسبق ذكره- فيه فخامة؛ حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته.

٣٦- {على قَلْبِكَ} خص القلب؛ لأنه محل الحفظ.

٣٧- {مَن كَانَ عَدُوّا لّلَّهِ وملائكته وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وميكال فَإِنَّ الله عَدُوٌّ (للكافرين)} أي: لهم، فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء، ومن عاداهم عاداه الله.

٣٨- {ولو أنهم آمنوا واتقوا (لَمَثُوبَةٌ مّنْ عِندِ الله خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)} أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لو)؛ لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها، ولم يقل: لمثوبة الله خير؛ لأن المعنى لشيءٌ من الثواب خير لهم.

٣٩- {كذلك قَالَ الذين لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ} توبيخ عظيم لهم؛ حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم.

٤٠- {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} تكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم، وختم قصة بني إسرائيل بما بدأ به.

الجزء الثاني:

٤١- {سَيَقُولُ السفهاء مِنَ الناس} فائدة الإخبار بقولهم قبل وقوعه: توطين النفس؛ إذ المفاجأة بالمكروه أشد، وعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم، فقبل الرمي يراش السهم.

٤٢- {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الإجماع حجة؛ لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة، والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها، فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله، وأخرت صلة الشهادة أولاً، وقدمت آخراً؛ لأن المراد في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم.

٤٣- {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام} أي: في جهته وسمته؛ لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائي، وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين.

٤٤- {وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ} وحدت القبلة -وإن كان لهم قبلتان، فلليهود قبلة، وللنصارى قبلة- لاتحادهم في البطلان.

٤٥- {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده؛ لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة، فكرر عليهم ليثبتوا، على أنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر، فاختلفت فوائدها.

٤٦- {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ} (بِشَيءٍ) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه، وقلّل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جلّ ففوقه ما يقل إليه، ويريهم أن رحمته معهم في كل حال، وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها.

٤٧- {وَلَوْ يَرَى الذين ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ العذاب أَنَّ القوة لِلَّهِ جَمِيعًا} ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب؛ لأن (لو) إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه، قلما يوصل بجواب، ليذهب القلب فيه كل مذهب.

٤٨- {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا (وَالصَّابِرِينَ) فِي الْبَأْسَاءِ} نصب على المدح والاختصاص، إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال.

٤٩- {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ} ذكر بلفظ (الأخوّة) بعثاً له على العطف؛ لما بينهما من الجنسية والإسلام.

٥٠- {وَلَكُمْ فِي القصاص حياة} كلام فصيح، لما فيه من الغرابة؛ إذ القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جعل ظرفاً للحياة، وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة؛ لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا، فكان القصاص حياة، وأي حياة! أو نوع من الحياة، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل، لوقوع العلم بالقصاص من القاتل؛ لأنه إذا هم بالقتل، فتذكر الاقتصاص ارتدع، فسلم صاحبه من القتل، وهو من القود، فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين.

٥١- {وَلاَ تباشروهن وَأَنتُمْ عاكفون فِي المساجد} فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد.

٥٢- {وَأَتِمُّواْ الحج والعمرة لِلَّهِ} قيل: الإتمام يكون بعد الشروع، فهو دليل على أن من شرع فيهما لزمه إتمامهما.

٥٣- {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ من الغمام} السحاب، وهو للتهويل؛ إذ الغمام مظنة الرحمة، فإذا أنزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول.

٥٤- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ} إنما جاء (يسألونك) ثلاث مرات بلا واو، ثم مع واو ثلاثاً؛ لأن سؤالهم عن تلك الحوادث الأول كأنه وقع في أحوال متفرقة، فلم يؤت بحرف العطف؛ لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع لذلك.

٥٥- {والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ} خبر في معنى الأمر.. وإخراج الأمر في صورة الخبر، تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك الله، أخرج في صورة الخبر، ثقة بالاستجابة، كأنما

وجدت الرحمة فهو يخبر عنها، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية، وفي ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص، وزيادة بعث؛ لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهن، ويغلبنها على الطموح، ويجبرنها على التربص.

٥٦- {إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ} لم يقل: إن علما أنهما يقيمان؛ لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله.

٥٧- {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ} التشاور: استخراج الرأي.. وذكره ليكون التراض عن تفكّر، فلا يضر الرضيع، فسبحان الذي أدب الكبير ولم يهمل الصغير، واعتبر اتفاقهما؛ لأن للأب النسبة والولاية، وللأم الشفقة والعناية.

٥٨- {فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ} أي: فأماتهم الله، وإنما جيء به على هذه العبارة، للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد، وأن الموت إذا لم يكن منه بد، ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون في سبيل الله.

الجزء الثالث:

٥٩- {مما ترك آل موسى وآل هارون} أي: مما تركه موسى وهارون، و(الآل) مقحم لتفخيم شأنهما.

٦٠- {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} إنما ترتبت الجمل في آية الكرسي بلا حرف عطف؛ لأنها وردت على سبيل البيان، فالأولى: بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساهٍ عنه، والثانية: لكونه مالكاً لما يدبره، والثالثة: لكبرياء شأنه، والرابعة: لإحاطته بأحوال الخلق، والخامسة: لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله

وعظم قدره، وإنما فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد..؛ لاشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من رب العزة، فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار، وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد.

٦١- { قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} بناء على الظن، وفيه دليل جواز الاجتهاد.

٦٢- {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (ثُمَّ) لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} معنى (ثم) إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله: (ثم استقاموا)..وإنما قال هنا: (لهم أجرهم)، وفيما بعد: (فلهم أجرهم)؛ لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة.

٦٣- {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ جَنَّةٌ مّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر.

٦٤- {يا أيها الذين آمنوا أَنفِقُواْ مِن طيبات مَا كَسَبْتُمْ} فيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة.

٦٥- {قَالُواْ إِنَّمَا البيع مِثْلُ الربا} لم يقل: إنما الربا مثل البيع، مع أن الكلام في الربا لا في البيع؛ لأنه جيء به على طريقة المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل حتى شبهوا به البيع.

٦٦- {وَأَحَلَّ الله البيع وَحَرَّمَ الربا} دلالة على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه.

٦٧- {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مّنَ الله ورسوله} لم يقل: بحرب الله ورسوله؛ لأن هذا أبلغ؛ لأن المعنى: فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله.

٦٨- {ومن يكتمها فإنه آثم قلبه} إنما أسند إلى القلب وحده، والجملة هي الآثمة لا القلب وحده؛ لأن كتمان الشهادة أن يضمرها في القلب ولا يتكلم بها، فلما كان إثماً مقترفاً مكتسباً بالقلب أسند إليه؛ لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، كما تقول: هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي؛ ولأن القلب رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله، فكأنه قيل: فقد تمكن الإثم في أصل نفسه، وملك أشرف مكان منه؛ ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح.

سورة آل عمران:

٦٩- {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} الواو المتوسطة بين الصفات، للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها، وللإشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح.

٧٠- {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى} فيه دليل على أن المُرادات تطلب بالصلوات، وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات، وقال ابن عطاء: ما فتح الله تعالى على عبد حالة سَنِيّة إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب.

٧١- {ولكن كُونُواْ ربانيين بِمَا كُنتُمْ تُعَلّمُونَ الكتاب وَبِمَا كنتم تدرسون} بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم .. وكفى به دليلاً على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان كمن غرس من شجرة حسناء تؤنقه بمظهرها ولا تنفعه بثمرها.

الجزء الرابع:

٧٢- {لَن تَنَالُواْ البر حتى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب.

٧٣- {قُلْ فَأْتُواْ بالتوراة فاتلوها إِن كُنتُمْ صادقين} فيه دليل بيّن على صدق النبي عليه السلام، وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه.

٧٤- {قُلْ صَدَقَ الله} فيه تعريض بكذبهم، أي: ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل، وأنتم الكاذبون.

٧٥- {فيه آيات بينات مَّقَامُ إبراهيم} عطف بيان لقوله: آيات بينات، وصح بيان الجماعة بالواحد؛ لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة، لظهور شأنه، وقوة دلالته على قدرة الله تعالى، ونبوة إبراهيم عليه السلام، من تأثير قدمه في حجر صلد، أو لاشتماله على آيات؛ لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة، على أن {ومن دخله كان آمنا} عطف بيان لآيات، وإن كان جملة ابتدائية أو شرطية من حيث المعنى؛ لأنه يدل على أمن داخله، فكأنه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله، والاثنان في معنى الجمع، ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما للدلالة على تكاثر الآيات، كأنه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله وكثير سواهما.

٧٦- {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} لم يقل: (عنه)، وفيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان؛ لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل، فكان أدل على عظيم السخط الذى وقع عبارة عنه.

٧٧- {وَإِن يقاتلوكم يولوكم الأدبار (ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ)} ابتداء إخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء، وليس بمعطوف على يولوكم؛ إذ لو كان معطوفاً عليه لقيل: ثم لا ينصروا، وإنما استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم

قاتلوا أو لم يقاتلوا، وتقدير الكلام: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون، و(ثم) للتراخي في المرتبة؛ لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار.

٧٨- {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} هذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى، وقال الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك.

٧٩- {واتقوا النار التي أُعِدَّتْ للكافرين} كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول: هي أخوف آية في القرآن، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه، وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

٨٠- {وَجَنَّةٍ عرضها السماوات والأرض} خص العرض؛ لأنه في العادة أدنى من الطول، للمبالغة.

٨١- {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ..} افتتح بذكر الإنفاق؛ لأنه أشق شيء على النفس، وأدلّه على الإخلاص؛ ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين.

٨٢- {ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)} هذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة، وبعث عليها، وردع عن اليأس والقنوط، وبيان لسعة رحمته، وقرب مغفرته من التائب، وإشعار بأن الذنوب وإن جلّت فإن عفوه أجل، وكرمه أعظم.

٨٣- {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله} فيه تحريض على الجهاد، وتشجيع على لقاء العدو، وإعلام بأن الحذر لا ينفع، وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك.

٨٤- {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا} قدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على الأعداء؛ لأنه أقرب إلى الإجابة، لما فيه من الخضوع والاستكانة.

٨٥- {فآتاهم الله ثَوَابَ الدنيا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخرة} خُص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده.

٨٦- {إِنَّمَا استزلهم الشيطان بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ} الإضافة إلى الشيطان: لطف وتقريب، والتعليل بكسبهم: وعظ وتأديب.

٨٧- {وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ} لوقوع اسم الله في هذا الموضع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن غني عن البرهان.

٨٨- {فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ الله لِنتَ لَهُمْ} ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله.

٨٩- {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر} فيه دلالة جواز الاجتهاد، وبيان أن القياس حجة.

٩٠- {وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غل يوم القيامة (ثُمَّ توفى كُلُّ نفس ما كسبت)} لم يقل: ثم يوفى ما كسب -ليتصل بقوله: يغلل- بل جيء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره، فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ؛ لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً مجزي، فموفى جزاءه، علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب.

٩١- {يُنَادِى للإيمان} لأجل الإيمان بالله، وفيه تفخيم لشأن المنادي؛ إذ لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان.

سورة النساء:

٩٢- {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} سماهم يتامى لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر، وفيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ إن أونس منهم الرشد، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار.

٩٣- {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شيء منه نَفْساً} في الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط، حيث بنى الشرط على طيب النفس.. ولم يقل: فإن وهبن لكم، إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة.

٩٤- {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} تنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص، وهو الرشد في التصرف والتجارة، أو يفيد التقليل، أي: طرفاً من الرشد، حتى لا ينتظر به تمام الرشد.

٩٥- {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ الأنثيين} بدأ بحظ الذكر، ولم يقل: للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر، لفضله، كما ضوعف حظه لذلك؛ ولأنهم كانوا يورثون الذكر دون الإناث، وهو السبب لورود الآية، فقيل: كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث، فلا يتمادى في حظهن، حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به.

الجزء الخامس:

٩٦- {والله أَعْلَمُ بإيمانكم بَعْضُكُم مّن بَعْضٍ} تحذير عن التعيير بالأنساب، والتفاخر بالأحساب.

٩٧- {إِلا أَن تَكُونَ تجارة عَن تَرَاضٍ منكم} خص التجارة بالذكر؛ لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها.

٩٨- {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أموالهم} فيه دليل وجوب نفقتهن عليه.

٩٩- {وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره، مع أنه سمى متاع الدنيا قليلا.

١٠٠- {إن الله لا يغفر أن يشرك به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} قال على رضى الله عنه: ما في القرآن آية أحب إليّ من هذه الآية.

١٠١- {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ)} لم يقل: واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات، تفخيما لشأنه ﷺ، وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أن شفاعة من اسمُه الرسول من الله بمكان.

١٠٢- {والمستضعفين مِنَ الرجال والنساء والولدان} ذكر الولدان، تسجيلاً بإفراط ظلمهم، حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين، إرغاما لآبائهم وأمهاتهم؛ ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم، استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما فعل قوم يونس عليه السلام.

١٠٣- {أفلا يتدبرون القرآن} أفلا يتأملون معانيه ومبانيه.. وهذا يرد قول من زعم من الروافض أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ والإمام المعصوم ويدل على صحة القياس.

١٠٤- {وَمَن قَتَلَ مؤمنا خطأ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} قيل: لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء، لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار؛ لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها.

١٠٥- {فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم} و(عسى) وإن كان للإطماع، فهو من الله واجب؛ لأن الكريم إذا أطمع أنجز.

١٠٦- {لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس بِمَا أراك الله} فيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه ﷺ.

١٠٧- {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤمنين} دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها، كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى جمع بين

اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط، وجعل جزاءه الوعيد الشديد، فكان اتباعهم واجباً كموالاة الرسول.

١٠٨- {وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً} فائدة هذه التوكيدات: مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه.

١٠٩- {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)} تقرير لما هو موجب تقواه؛ لأن الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعاً في خلقه غير معصي، وفيه دليل على أن التقوى أصل الخير كله.

١١٠- {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ (فَتْحٌ) مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ (نَصِيبٌ)} سمى ظفر المسلمين فتحا؛ تعظيما لشأنهم؛ لأنه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء، وظفر الكافرين نصيباً تخسيساً لحظهم؛ لأنه لُمظة من الدنيا يصيبونها.

الجزء السادس:

١١١- {فَقَدْ سَأَلُواْ موسى أَكْبَرَ مِن ذلك} إنما أسند السؤال إليهم، وقد وجد من آبائهم في أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون؛ لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم.

١١٢- {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ)} منصوب على المدح، لبيان فضل الصلاة.

١١٣- {وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} الآية تدل على أن معرفة الرسل بأعيانهم ليست بشرط لصحة الإيمان، بل من شرطه أن يؤمن بهم جميعاً؛ إذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطاً لقص علينا كل ذلك.

سورة المائدة:

١١٤- {وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ} {مُكَلِّبِينَ} حال من علمتم، وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلمتم: أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها.. وفيه دليل على أن كل آخذ علما على ألا يأخذه إلا من أقتل أهله علماً وأنحرهم دراية، فكم من آخذ من غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله.

١١٥- {وَمِنَ الذين قَالُواْ إِنَّا نصارى أَخَذْنَا ميثاقهم} وإنما لم يقل: من النصارى؛ لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله، وهم الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله، ثم اختلفوا بعد: نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصاراً للشيطان.

١١٦- {والسارق والسارقة} بدأ بالرجل لأن السرقة من الجراءة وهي في الرجال أكثر، وأخر الزاني لأن الزنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء أوفر.

١١٧- {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} قدم التعذيب على المغفرة هنا، لتقدم السرقة على التوبة.

١١٨- {إِنَّا أَنزَلْنَا التوراة فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النبيون (الذين أَسْلَمُواْ)} صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح، وأريد بإجرائها التعريض باليهود؛ لأنهم بُعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم.

١١٩- {فاعلم أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم (بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ)} هذا الإبهام لتعظيم التولي، وفيه تعظيم الذنوب؛ فإن الذنوب بعضها مهلك، فكيف بكلها؟.

١٢٠- {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} لم يجمع الولي -وإن كان المذكور جماعة- تنبيهاً على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع، ولو قيل: إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع.

١٢١- {يا أيها الذين آمنوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} فيه دليل نبوته عليه السلام؛ حيث أخبرهم بما لم يكن فكان، وإثبات خلافة الصديق؛ لأنه جاهد المرتدين، وفي صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما.

١٢٢- {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} لم يجمع الولي، وإن كان المذكور جماعة، تنبيهاً على أن الولاية لله أصل، ولغيره تبع.

١٢٣- {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا} فيه دليل على ثبوت الأذان بنصب الكتاب لا بالمنام وحده.

١٢٤- {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} دلت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق.

١٢٥- {وإن لّم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الّذين كفروا منهم} يقل: ليمسنهم؛ لأن في إقامة الظاهر مقام المضمر تكرير للشهادة عليهم بالكفر، أو للتبعيض، أي: ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم؛ لأن كثيراً منهم تابوا عن النصرانية.

١٢٦- {كانوا لا يتناهون عن مّنكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون} فيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه.

الجزء السابع:

١٢٧- {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذلك بأنّ منهم قِسّيسينَ ورهباناً} أي علماء وعباداً.. وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء، وأهداه إلى الخير.

١٢٨- {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدّمع} تفيض من الدمع: تمتلئ من الدمع حتى تفيض؛ لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء

موضع الامتلاء، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من أجل البكاء.

١٢٩- {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَعَنِ الصلاة} خص الصلاة من بين الذكر، لزيادة درجتها، كأنه قال: وعن الصلاة خصوصاً، وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخراً؛ لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهار أن ذلك جميعاً من أعمال أهل الشرك.. ثم أفردهما بالذكر ليعلم أنهما المقصود بالذكر.

١٣٠- {يا أيها الذين آمنوا شهادة بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموت حِينَ الوصية اثنان} (إذا حضر) ظرف للشهادة، (حين الوصية) بدل منه، وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية؛ لأن حضور الموت من الأمور الكائنة، وحين الوصية بدل منه، فيدل على وجو الوصية، ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء، فنقل إلى الوجوب.

سورة الأنعام:

١٣١- {الذى خَلَقَ السماوات والأرض} جمع السموات؛ لأنها طباق بعضها فوق بعض، والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض، بل بعضها موال لبعض.

١٣٢- {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} معنى (ثم): بُعد ما بين الأمرين، قضاء الأمر وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر؛ لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة.

١٣٣- {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} الفرق بين (فانظروا) وبين (ثُمَّ انظروا): أن النظر جعل مسبباً عن السير في (فانظروا)، فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين، ومعنى

(ثُمَّ انظروا) إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح.

١٣٤- {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ (خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)} فيه دليل على أما سوى أعمال المتقين لعب ولهو.

١٣٥- {والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب} جعل العذاب ماسّا، كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام.

١٣٦- {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} إنما احتج عليهم بالأفول دون البزوغ، وكلاهما انتقال من حال إلى حال؛ لأن الاحتجاج به أظهر؛ لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب.

١٣٧- {فَأَيُّ الفريقين أَحَقُّ بالأمن} ولم يقل: فأينا، احترازاً من تزكية نفسه.

١٣٨- {وَزَكَرِيَّا ويحيى وعيسى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصالحين} ذكر عيسى معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم أيضاً؛ لأنه جعله من ذرية نوح عليه السلام، وهو لا يتصل به إلا بالأم، وبذا أجيب الحجّاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبي عليه السلام.

١٣٩- {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} خُصت الصلاة بالذكر؛ لأنها علم الإيمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهراً.

١٤٠- {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} إنما قيل: يعلمون ثَمّ، ويفقهون هنا؛ لأن الدلالة ثمّ أظهر، وهنا أدق؛ لأن إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة، أدق، فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق.

الجزء الثامن:

١٤١- {جَعَلْنَا فِي كُلّ قَرْيَةٍ أكابر مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا} خص الأكابر وهم الرؤساء؛ لأن ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم.

١٤٢- {وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحرث والأنعام نَصِيباً} أي وللأصنام نصيباً.. وفي قوله {مِمَّا ذَرَأَ} إشارة إلى أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي؛ لأنه هو الذي ذرأه.

١٤٣- {كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إذا أثمر} فائدة (إِذَا أَثْمَرَ) أن يعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر، ولا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك.

١٤٤- {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ (الذين كَذَّبُواْ بآياتنا)} من وضع الظاهر موضع المضمر، للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى؛ إذ لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً له.

١٤٥- {وَأَوْفُواْ الكيل والميزان بالقسط (لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)} إنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك؛ لأن مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة ولا نقصان، مما فيه حرج، فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه.

١٤٦- {أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الكتاب على طَائِفَتَيْنِ مِن قبلنا} دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب.

سورة الأعراف:

١٤٧- {فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مّنْهُ} شك فيه، وسمي الشك: حرجاً؛ لأن الشاك ضيق الصدر حرجه، كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه.

١٤٨- {قال ما منعك ألا تسجد إِذْ أَمَرْتُكَ} فيه دليل على أن الأمر للوجوب، والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به، للتوبيخ، وللإظهار معاندته وكفره وكبره، وافتخاره بأصله، وتحقيره أصل آدم عليه السلام.

١٤٩- {فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فاخرج إِنَّكَ مِنَ الصاغرين} به عُلِم أن الصغار لازم للاستكبار.

١٥٠- {قَالَ أَنظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظرين} إنما أجيب إلى ذلك: لما فيه من الابتلاء، وفيه تقريب لقلوب الأحباب؛ أي: هذا بري بمن يسبني، فكيف بمن يحبني؟ وإنما جسّره على السؤال مع وجود الزلل منه في الحال، علمُه بحلم ذي الجلال.

١٥١- {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا} فيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستقبحاً في الطباع والعقول.

١٥٢- {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدوّ السوآت، وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري من الفضيحة، وإشعارا بأن التستر من التقوى.

١٥٣- {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خَالِصَةً يَوْمَ القيامة} لا يشركهم فيها أحد، ولم يقل: للذين آمنوا ولغيرهم، لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة، والكفار تبع لهم.

١٥٤- {ونادى أصحاب النّار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء} فيه دليل على أن الجنة فوق النار.. وإنما سألوا ذلك مع يأسهم عن الإجابة؛ لأن المتحيّر ينطق بما يفيد، وبما لا يفيد.

١٥٥- {قال يا قوم ليس بي ضلالةٌ} ولم يقل: ضلال -كما قالوا-؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال.

١٥٦- {قال الملأ الّذين كفروا من قومه} وإنما وصف الملأ بالذين كفروا، دون الملأ من قوم نوح؛ لأن في أشراف قوم هود من آمن، منهم مرثد بن سعد، فأريد التفرقة بالوصف، ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن.

١٥٧- {أبلّغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصحٌ أمينٌ} إنما قال هنا: وأنا لكم ناصح أمين، لقولهم: وإنا لنظنك من الكاذبين، أي: ليقابل الاسم الاسم، وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم، أدب حسن وخلق عظيم، وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم.

١٥٨- {أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)} وإنما صار هذا جوابا لهم؛ لأنهم سألوهم عن العلم بإرساله، فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مسلماً، كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به لا شبهة فيه، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم: أنا به مؤمنون.

١٥٩- {فَعَقَرُواْ الناقة} أسند العقر إلى جميعهم -وإن كان العاقر قدر بن سالف- لأنه كان برضاهم.

الجزء التاسع:

١٦٠- {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} في التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم، ولما جرى عليهم.

١٦١- {قَالُواْ يا موسى إِمَا أَن تُلْقِيَ (وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الملقين)} فيه دلالة على أن رغبتهم في أن يلقوا قبله، حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل، وعرّف الخبر.

١٦٢- {قال أَلْقَوْاْ} تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه، كما يفعل المتناظرون قبل أن يتخاوضوا في الجدال، وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم، وقلة مبالاة بهم، واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا.

١٦٣- {إن الأرض للَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء من عباده} فيه تمنيته إياهم أرض مصر {والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ} بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط.

١٦٤- {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الحسنة قَالُواْ لَنَا هذه وَإِن تُصِبْهُمْ سيئة يطيروا} دخل (إذا) في الحسنة، وعُرّفت الحسنة، و(إن) في السيئة، ونكرت السيئة؛ لأن جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها.

١٦٥- {وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} إنما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى، أو قصدوا بذلك الاستهزاء.

١٦٦- {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (بِمَا صَبَرُوا)} بسبب صبرهم وحسبك به حاثاً على الصبر ودالاً على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه، ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج.

١٦٧- {قال ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني}، وكان ابن أمه وأبيه، وإنما ذكر الأم؛ لأنها كانت مؤمنة، ولأن ذكرها أدعى إلى العطف.

١٦٨- {وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} عظّم جناتهم أولاً، ثم أردفها بعظم رحمته، ليعلم أن الذنوب وإن عظمت فعفوه أعظم.

١٦٩- {فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الأمّيّ الّذي يؤمن بالله وكلماته} لم يقل: فآمنوا بالله وبي، بعد قوله: إني رسول الله إليكم؛ لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى اظهارا للنصفة، وتفادياً من العصبية لنفسه.

١٧٠- {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحق وَبِهِ يَعْدِلُونَ} فيه دلالة على إجماع كل عصر حجة.

١٧١- {قُلْ إنما علمها عند الله} وكرر (يسئلونك) و(إنما عِلْمُهَا عِندَ الله) للتأكيد، ولزيادة (كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا)، وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة، منهم: مُحَمَّد بن الحسن رحمه الله.

١٧٢- {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

سورة الأنفال:

١٧٣- {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا (دَعَاكُمْ)} وحد الضمير؛ لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته.

الجزء العاشر:

١٧٤- {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} به احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة.

١٧٥- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ (فِئَةً)} ترك وصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار.

١٧٦- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه إشعار بأن على العبد ألا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً، وأكثر ما يكون هماً، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك، وإن كانت متوزعة عن غيره.

١٧٧- {يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ الله والله مَعَ الصابرين} تكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين، قبل التخفيف وبعده، للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت؛ إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين، والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين، والألف الألفين.

١٧٨- {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُه} الفرق بين الجملة الأولى والثانية: أن الأولى إخبار بثبوت البراءة، والثانية إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت، وإنما عُلقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين، وعلق الأذان بالناس؛ لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم، وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد، ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث.

١٧٩- {إِنَّمَا يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر} لم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول، لاقترانهما في الأذان والإقامة، وكلمة الشهادة، وغيرها.

١٨٠- {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ورضوان وجنات} تنكير المبشر به، لوقوعه وراء صفة الواصف، وتعريف المعرِّف.

١٨١- {فتكوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} وخصت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس ازورّوا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم.

١٨٢- {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الذين كفروا} أسند الإخراج إلى الكفار؛ لأنهم حيث هموا بإخراجه، أذن الله له في الخروج، فكأنهم أخرجوه.

١٨٣- {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} هو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب، وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام، حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام.. وفيه دليل جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام؛ لأنه عليه السلام إنما فعل ذلك بالاجتهاد، وإنما عوتب مع أن له ذلك، لتركه الأفضل، وهم يعاتبون على ترك الأفضل.

١٨٤- { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم (وَفِي الرقاب والغارمين وَفِي سَبِيلِ الله وابن السبيل)} عدل عن اللام إلى (في) في الأربعة الأخيرة، للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأن (في) للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها، وتكرير (في) في قوله: (في سبيل الله وابن السبيل) فيه: فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين، وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم، على أنهم ليسوا منهم، حسماً لأطماعهم، وإشعاراً بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها، فما لهم ومالها، وما سلطهم على التكلم فيها، ولمز قاسمها.

١٨٥- {والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ} إنما وحد الضمير؛ لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله، فكانا في حكم شيء واحد.

١٨٦- {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا (هِيَ حَسْبُهُمْ)} فيه دلالة على عظم عذابها، وأنه بحيث لا يزاد عليه.

١٨٧- {فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} إنما قدم (فاستمتعوا بخلاقهم) وقوله: (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) مغن عنه؛ ليذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة.

١٨٨- {وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في: سأنتقم منك يوما.

١٨٩- {أَعَدَّ الله لَهُمْ جنات} قوله: أَعَدَّ، دليل على أنها مخلوقة.

١٩٠- {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ)} أي: تسيل، وهو أبلغ من: يفيض دمعها؛ لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض.

الجزء الحادي عشر:

١٩١- {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ} هذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف، مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه، وكذلك {سَيُدْخِلُهُمُ الله فِي رَحْمَتِهِ} أي: جنته، وما في السين من تحقيق الوعد، وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين، وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها.

١٩٢- {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} لا ترى أبلغ من هذا الكلام، ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره.

١٩٣- {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال، ووعدوا عليه.

١٩٤- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} الآية تدل على أن الاجماع حجة؛ لأنه أمر بالكون مع الصادقين، فلزم قبول قولهم.

١٩٥- {بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} فيه دليل على أن من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً، من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك، وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب، لأن وطء ديارهم مما يغيظهم.

١٩٦- { حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ.

سورة يونس:

١٩٧- {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ (لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)} خصهم بالذكر؛ لأنهم يحذرون الآخرة، فيدعوهم الحذر إلى النظر.

١٩٨- {وَلَوْ يُعَجِّلُ الله لِلنَّاسِ الشر استعجالهم بالخير} أصله: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير، فوضع: (استعجالهم بالخير) موضع: تعجيله لهم الخير، إشعاراً بسرعة إجابته لهم.

١٩٩- {قَالَ الذين لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائت بقرآن غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تلقاء نَفْسِي} أُمِر بأن يجيب عن التبديل؛ لأنه داخل تحت قدرة الإنسان، وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة.. وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان وقد ظهر لهم العجز عنه.

٢٠٠- {قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ} إنما ذكر: ثم يعيده، وهم غير مقرين بالإعادة؛ لأنه لظهور برهانها جعل أمراً مسلماً، على أن فيهم من يقر بالإعادة.

٢٠١- {وَمَا ظَنُّ الذين يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكذب يَوْمُ القيامة} هو وعيد عظيم، حيث أبهم أمره.

٢٠٢- {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وما تتلو منه} من التنزيل.. والإضمار قبل الذكر تفخيم له.

٢٠٣- {أَلا إِنَّ للَّهِ مَن فِي السماوات وَمَنْ فِي الأرض} خصّهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي مملكته، ولا يصلح أحد منهم للربوبية، ولا أن يكون شريكاً له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له نداً وشريكاً.

٢٠٤- {فَقَالُواْ على الله تَوَكَّلْنَا} إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين، لا جرم أن الله قبل توكلهم، وأجاب دعاءهم، ونجاهم، وأهلك من كانوا يخافونه،

وجعلهم خلفاء في أرضه، فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه، فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص.

٢٠٥- {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} ثنى الخطاب أولاً، ثم جمع، ثم وحد آخراً؛ لأن اختيار مواضع العبادة مما يفوض إلى الأنبياء، ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور، وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيماً لها وللمبشر بها.

٢٠٦- {قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا} قيل: كان موسى عليه السلام يدعوا وهارون يؤمن، فثبت أن التأمين دعاء، فكان إخفاؤه أولى.

٢٠٧- {قال آمنت إنه لا إله إِلاَّ الذى آمنت به بنو إسرائيل وَأَنَاْ مِنَ المسلمين} كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات، في ثلاث عبارات، حرصاً على القبول، ثم لم يقبل منه، حيث أخطأ وقته، وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار.

٢٠٨- {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه، والاعتماد إلا عليه.

الجزء الثاني عشر:

سورة هود:

٢٠٩- {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} إنما وضع (يستهزئون) موضع (يستعجلون)؛ لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء.

٢١٠- {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يوحى إِلَيْكَ وضائق به صدرك} لم يقل: ضيّق، ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت؛ لأنه عليه السلام كان أفسح الناس صدراً؛ ولأنه أشكل بـ(تارك).

٢١١- {قَالَ يَا نُوحِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالح} فيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، وأن نسيبك في دينك وإن كان حبشياً وكنت قرشياً لصيقك، ومن لم يكن على دينك وإن كان أمسّ أقاربك رحماً، فهو أبعد بعيد منك، وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمه، كقولها:..... فإنما هي إقبال وإدبار.

أو التقدير: إنه ذو عمل، وفيه إشعار بأنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم، لا لأنهم أهله، وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته عمِل غير صالح.

٢١٢- {ويَا قَوْمِ استغفروا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السماء عليكم مدرارا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ} إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة؛ لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين، فكانوا أحوج شيء إلى الماء، وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة.

٢١٣- {إِنّي تَوَكَّلْتُ عَلَى الله رَبِّي وَرَبّكُمْ مَّا من دابة إلا هو آخذ بناصيتها} لما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك.

٢١٤- {وامرأته قَائِمَةٌ فضحكت فبشرناها بإسحاق} خصت بالبشارة؛ لأن النساء أعظم سروراً بالولد من الرجال، ولأنه لم يكن لها ولد، وكان لإبراهيم ولد، وهو إسماعيل.

٢١٥- {إِنَّ إبراهيم لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ} هذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة، فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه.

٢١٦- {ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا} إنما ذكر في آخر قصة عاد ومدين: (ولما جاء)، وفي آخر قصة ثمود ولوط: (فلما جاء)؛ لأنهما وقعا بعد ذكر الموعد، وذلك قوله: (إن موعدهم الصبح)، (ذلك وعد غير مكذوب)

فجئ بالفاء الذي هو للتسبيب، كقولك: وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت، وأما الأخريان فقد وقعتا مبتدأتين، فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلها ما قبلها كما تعطف قصة على قصة.

٢١٧- {وكذلك أَخْذُ رَبّكَ إِذَا أَخَذَ القرى وَهِىَ ظالمة إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} هذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها، فعلى كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال.

٢١٨- {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس} إنما آثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم، وإنه أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس، وأنهم لا ينفكون منه، يجمعون للحساب والثواب والعقاب.

سورة يوسف:

٢١٩- {لا تقصص رؤياك على إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ} إنما لم يقل: (فيكيدوك) كما قال: (فكيدوني)؛ لأنه ضُمن معنى فعل يتعدى باللام، ليفيد معنى فعل الكيد مع الفعل المضمن فيكون، آكد وأبلغ في التخويف، وذلك نحو: فيحتالوا لك، ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو {كَيْدًا}.

٢٢٠- {إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىَ أَبِينَا مِنَّا} اللام لام الابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا: أن زيادة محبته لهما أمر ثابت، لا شبهة فيه، وإنما قالوا: وأخوه وهم إخوته أيضاً؛ لأن أمهما كانت واحدة.

٢٢١- {قالوا يا أبانا ما لك لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لناصحون} فيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه.

٢٢٢- {قَالَ إِنّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ* قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ} أجابوا عن عذره الثاني دون الأول؛ لأن ذلك كان يغيظهم.

٢٢٣- {وجاؤوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه.

٢٢٤- {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}، {يُوسُفَ} حذف منه حرف النداء؛ لأنه منادى قريب، مفاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله..{واستغفري لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخاطئين} من جملة القوم المتعمدين للذنب، يقال: خطىء إذا أذنب متعمداً، وإنما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث، وكان العزيز رجلاً حليماً، قليل الغيرة، حيث اقتصر على هذا القول.

٢٢٥- {وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فاستعصم} الاستعصام بناء مبالغة، يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها، وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام بريء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان.

٢٢٦- {قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ} فيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية.

٢٢٧- {قَالَ ارجع إِلى رَبّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النسوة اللاتي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} فيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها.

٢٢٨- ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن.

الجزء الثالث عشر:

٢٢٩- {وتولى عنهم وقال يا أسفى عَلَى يُوسُفَ} إنما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم، لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين، وفيه دليل على أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضاً عنده طرياً.

٢٣٠- {قالوا أئنك لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وهذا أَخِي} وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه؛ لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه.

٢٣١- {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السجن} ولم يذكر الجب لقوله: لا تثريب عليكم اليوم.

سورة الرعد:

٢٣٢- {أولئك الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وأولئك الأغلال فِي أعناقهم وأولئك أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون} دل تكرار (أولئك) على تعظيم الأمر.

٢٣٣- {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} هي أرجى آية في كتاب الله؛ حيث ذكر المغفرة مع الظلم، وهو بدون التوبة، فإن التوبة تزيلها وترفعها.

٢٣٤- {أَنَزلَ مِّنَ السماء مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ} إنما نكّر؛ لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض.

٢٣٥- {وَلَئِنِ اتبعت أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ العلم ما لك مِنَ الله مِن وَلِيّ وَلاَ وَاقٍ} هذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين، وأن لا يزلّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة الثبات بمكان.

سورة إبراهيم:

٢٣٦- {إِنَّ فِي ذلك لآيات لّكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} كأنه قال: لكل مؤمن؛ إذ الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

٢٣٧- {يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مّن ذُنُوبِكُمْ} لم تجيء مع (مِن) إلا في خطاب الكافرين، كقوله: (واتقوه وَأَطِيعُونِ يغفر لكم من ذنوبكم) (يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم)، وقال في خطاب المؤمنين: (هَلْ أَدُلُّكُمْ على تجارة) إلى أن قال: (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) وغير ذلك مما يعرف بالاستقرار، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد.

٢٣٨- {وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا} إنما جيء به بلفظ الماضي؛ لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد.

٢٣٩- {رَبِّ اجعل هذا البلد آمِناً} ذا أمن، والفرق بين هذه وبين ما في البقرة: أنه قد سأل فيها أن يجعل من جملة البلدان التي يأمن أهلها، وفي الثاني أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف، فاجعله آمناً.

٢٤٠- {الحمد للَّهِ الذي وَهَبَ لِي عَلَى الكبر إسماعيل وإسحاق} إنما ذكر حال الكبر؛ لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم؛ لأنها حال وقوع اليأس من الولادة، والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجلّ النعم؛ ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم.

٢٤١- {رَبّ اجعلني مُقِيمَ الصلاة وَمِن ذُرّيَتِي} إنما بعّض؛ لأنه علم بأعلام الله أنه يكون في ذريته كفار، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم الساعة.

٢٤٢- {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} التقدير: مخلف رسله وعده، وإنما قدم المفعول الثاني على الأول ليعلم أنه لا يخاف الوعد أصلاً.

٢٤٣- {وتغشى وجوههم النار} خص الوجه؛ لأنه أعز موضع في ظاهر البدن، كالقلب في باطنه، ولذا قال: (تطلع على الأفئدة).

الجزء الرابع عشر:

سورة الحجر:

٢٤٤- {ربما يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مَسْلِمِينَ} إنما قلّل بـ(رُبّ)؛ لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمني، فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين.

٢٤٥- {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأمل فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} فيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل، ليس من أخلاق المؤمنين.

٢٤٦- {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} دليل على أنه يجوز تقدم الأمر عن وقت الفعل.

٢٤٧- {إِلاَّ امرأته قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الغابرين} إنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، ولم يقولوا: قدر الله؛ لقربهم، كما يقول خاصة الملك: أمرنا بكذا، والآمر هو الملك.

٢٤٨- {وقضينا إليه (ذلك الأمر) (أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ)} في إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر.

٢٤٩- {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ} قسمٌ بحياته ﷺ ، وما أقسم بحياة أحد قط، تعظيماً له.

سورة النحل:

٢٥٠- {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} من الله تعالى بالتجميل بها كما من بالانتفاع بها؛ لأنه من أغراض أصحاب المواشي؛ لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية، وفرحت أربابها، وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، وإنما قدمت الإراحة على التسريح لأن الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع.

٢٥١- {يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزرع والزيتون والنخيل والاعناب وَمِن كُلِّ الثمرات} ولم يقل: كل الثمرات؛ لأن كلها لا تكون إلا في الجنة، وإنما أنبت في الأرض من كلها للتذكرة.

٢٥٢- {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} جمع الآية وذكر العقل؛ لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

٢٥٣- {فاسألوا أَهْلَ الذكر} قيل للكتاب: الذكر؛ لأنه موعظة وتنبيه للغافلين.

٢٥٤- {يخافون رَبَّهُمْ مِّن فوقهم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} فيه دليل على أن الملائكة مكلفون، مدارون على الأمر والنهي، وأنهم بين الخوف والرجاء.

٢٥٥- {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأنثى (ظَلَّ) وَجْهُهُ مُسْوَدًّا} لأن أكثر الوضع يتفق بالليل، فيظل نهاره معتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس.

٢٥٦- {يعرفون نعمة الله (ثُمَّ) يُنكِرُونَهَا} (ثم) يدل على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة؛ لأن حق من عرف النعمة أن يعترف، لا أن ينكر.

٢٥٧- {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} هي أجمع آية في القرآن للخير والشر، ولهذا يقرأُها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي.

٢٥٨- {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} إنما وحدت القدم ونكرت؛ لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه، فكيف بأقدام كثيرة؟.

٢٥٩- {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكذب} قوله: (تصف ألسنتكم الكذب) من فصيح الكلام، جعل قولهم كأنه عين الكذب، فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلّت الكذب بحليته، وصورته بصورته، كقولك: وجهها يصف الجمال.

٢٦٠- {ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين} في (ثم) تعظيم منزلة نبينا عليه السلام، وإجلال محله، والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة: اتباع رسولنا ملته.

الجزء الخامس عشر:

سورة الإسراء:

٢٦١- {سُبْحَانَ الذي أسرى بعبده لَيْلاً} قيده بالليل، والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد، أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة.

٢٦٢- {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وسعى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً} عن بعض السلف: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا الآية.

٢٦٣- {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} فائدة: (عندك) إنهما إذا صارا كلا على ولدهما، ولا كافل لهما غيره، فهما عنده في بيته وكنفه، وذلك أشق عليه، فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما: أف، فضلاً عما يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما، حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر، مع موجبات الضجر، ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها.

٢٦٤- {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النبيين على بَعْضٍ} فيه إشارة الى تفضيل رسول الله صلى اله عليه وسلم، وقوله: {وآتينا داود زَبوراً} دلالة على وجه تفضيله، وأنه خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم؛ لأن ذلك مكتوب في زبور داود؛ قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزبور مِن بَعْدِ الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون} وهم: مُحَمَّد وأمّته.

٢٦٥- {إِذَا لأذقناك ضِعْفَ الحياة وَضِعْفَ الممات} دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله.

٢٦٦- {وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ} وإنما خص الذقن؛ لأن أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن.. وأما معنى اللام، فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به؛ إذ اللام للاختصاص، وكرر (يخرون للأذقان)؛ لاختلاف الحالين، وهما: خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين.

٢٦٧- {أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَآءُ الحسنى} أيًّا ما تدعوا فهو حسن، فوضع موضعه قوله: (فله الأسماء الحسنى)؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان؛ لأنهما منها.

سورة الكهف:

٢٦٨- {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا* قَيِّماً} فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر: التأكيد؛ فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفّح.

٢٦٩- {كَبُرَتْ كَلِمَةً (تخرج من أفواههم)} صفة لكلمة تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم؛ فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه، فكيف بمثل هذا المنكر؟.

٢٧٠- {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} فيه دليل على جواز الاجتهاد، والقول بالظن الغالب.

٢٧١- {فابعثوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ} حملهم الورِق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات.

٢٧٢- {مُتَّكِئِينَ فِيهَا على الأرائك} خص الاتكاء؛ لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم.

٢٧٣- {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} فيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.

الجزء السادس عشر:

٢٧٤- {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} وإنما ذكر أولاً: (فأردت)؛ لأنه إفساد في الظاهر، وهو فعله، وثالثاً: (فأراد ربك)؛ لأنه إنعام محض، وغير مقدور البشر، وثانياً: (فأردنا)؛ لأنه إفساد من حيث الفعل، إنعام من حيث التبديل.

٢٧٥- {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأخسرين أعمالا} أعمالاً تمييز، وإنما جمع والقياس أن يكون مفرداً؛ لتنوع الأهواء، وهم أهل الكتاب، أو الرهبان.

٢٧٦- {خالدين فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً} تحولا إلى غيرها، وهذه غاية الوصف؛ لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح مائل الطرف إلى أرفع منه.

سورة مريم:

٢٧٧- {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} وإنما أمرت أن تنذر السكوت، لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها، ولئلا تجادل السفهاء، وفيه دليل على أن السكوت عن السفيه واجب وما قُدعَ سفيه بمثل الإعراض، ولا أطلق عنانه بمثل العِراض.

٢٧٨- {والسلام عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً} فيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها؛ لأنه إذا قال: وجنس السلام عليّ، فقد عرّض بأن ضده عليكم؛ إذ المقام مقام مناكرة وعناد، فكان مئنة لمثل هذا التعريض.

٢٧٩- {يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} قال: (أخاف أن يمسك عذاب) بالتنكير المشعر بالتقليل، كأنه قال: إني

أخاف أن يصيبك نَفَيان من عذاب الرحمن، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب، كما أن رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه، وصدر كل نصيحة بقوله: يا أبتِ؛ توسلاً إليه واستعطافاً، وإشعاراً بوجوب احترام الأب وإن كان كافرا.

٢٨٠- {إِنَّهُ كَانَ صادق الوعد} إنما خصه بصدق الوعد -وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء- تشريفاً له، ولأنه المشهور من خصاله.

٢٨١- {لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً} فحشاً أو كذبا.. وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها.

٢٨٢- {فَوَرَبّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ} في إقسام الله باسمه مضافا إلى رسوله تفخيم لشأن رسوله.

٢٨٣- {يَوْمَ نَحْشُرُ المتقين إِلَى الرحمن وَفْداً* وَنَسُوقُ المجرمين إلى جَهَنَّمَ وِرْداً} ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلاً لهم، والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطش يساقون إلى الماء استخفافاً بهم.

٢٨٤- {وَمَا يَنبَغِي للرحمن أَن يَتَّخِذَ وَلَداً} في اختصاص الرحمن وتكريره مرات: بيان أنه الرحمن وحده، لا يستحق هذا الاسم غيره؛ لأن أصول النعم وفروعها منه، فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه، فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه، وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن.

سورة طه:

٢٨٥- {وأقم الصلاة لذكري} هذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها.

٢٨٦- {ولي فيها مآرب أخرى} لما ذكر بعضها شكراً، أجمل الباقي حياء من التطويل، أو ليسأل عنها الملك العلام، فيزيد في الإكرام.

٢٨٧- {قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولى} أُرِي ذلك موسى عند المخاطبة، لئلا يفزع منها إذا انقلبت حية عند فرعون.

٢٨٨- {لعله يتذكر أو يخشى} إنما قال: (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) مع علمه أنه لا يتذكر؛ لأن الترجي لهما، أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله، وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة، وقطع المعذرة.

٢٨٩- {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العذاب على مَن كَذَّبَ وتولى} هي أرجى آي القرآن؛ لأنه جعل جنس السلام للمؤمن، وجنس العذاب على المكذب، وليس وراء الجنس شيء.

٢٩٠- {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ} لم يقل: عصاك؛ تعظيماً لها، أي: لا تحتفل بما صنعوا، فإن ما في يمينك أعظم منها، أو تحقيراً أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويد الفرد الذي في يمينك، فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها.

٢٩١- {فَأُلْقِيَ السحرة سُجَّداً} قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا، فما أعجب أمرهم!، قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين.

٢٩٢- {قَالَ هُمْ أُوْلاء على أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبّ لترضى} هذا دليل على جواز الاجتهاد.

الجزء السابع عشر:

سورة الأنبياء:

٢٩٣- {وَلاَ يَسْمَعُ الصم الدعاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ} الأصل: ولا يسمعون إذا ما ينذرون، فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامّهم وسدهم أسماعهم إذا ما أنذروا.

٢٩٤- {وَنَضَعُ الموازين القسط} إنما جمع الموازين لتعظيم شأنها، (القسط) وصفت الموازين بالقسط، وهو العدل، مبالغة كأنها في نفسها قسط.

٢٩٥- {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْداً وسلاما} أي ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك، كأن ذاتها برد وسلام.

٢٩٦- {وَسَخَّرْنَا مَّعَ داود الجبال يُسَبّحْنَ والطير} قُدّمت الجبال على الطير؛ لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد.

٢٩٧- {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب، فكأنه قال: أنت أهل أن ترحم، وأيوب أهل أن يُرحم، فارحمه واكشف عنه الضيم الذي مسه.

٢٩٨- {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} إضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام.. وإنما لم يقل: آيتين، كما قال: (وجعلنا الليل والنهار آيتين)؛ لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فحل.

سورة الحج:

٢٩٩- {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} قيل: (مرضعة) ليدل على أن ذلك الهول حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه لما يحلقها من الدهشة؛ إذ المرضعة: هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع: التي شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به.

٣٠٠- {يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ} الإشكال أنه تعالى نفى الضر والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية، وأثبتهما لها هنا، والجواب: أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه أنه ينفعه، ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة: لمن ضره أقرب من نفعه.

٣٠١- {فالذين كَفَرُواْ (قُطّعَتْ) لَهُمْ ثِيَابٌ مّن نَّارٍ} اختير لفظ الماضي؛ لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق.

٣٠٢- {ليشهدوا منافع لَهُمْ} نكّرها؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة، دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادة، وهذا لأن العبادة شرعت للابتلاء بالنفس، كالصلاة والصوم، أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحج عليهما، مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب وهجر البلاد والأوطان وفرقة الأولاد والخلان، والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء، فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا على عتاده ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده، وغسل من يحرم وتأهبه، ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط ملففاً في كفن غير مخيط، ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر

لهفان، ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغباً ورهباً سائلين خوفاً وطمعاً، وهم من بين مقبول ومخذول، كموقف العرصات لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسعيد، والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء، ومنى هو موقف المنى للمذنبين إلى شفاعة الشافعين، وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف، والبيت الحرم الذي من دخله كان آمناً من الإيذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالماً من الفناء والزوال غير أن الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما أن الكعبة حفت بمتالف البادية، فمرحباً بمن جاوز مهالك البوادي شوقاً إلى اللقاء يوم التنادي.

٣٠٣- {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} فيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين؛ لأن الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر، مع السيرة العادلة.

٣٠٤- {وَكُذِّبَ موسى} كذبه فرعون والقبط، ولم يقل: وقوم موسى؛ لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذبه غير قومه، أو كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم: وكُذِّب موسى أيضاً مع وضوح آياته وظهور معجزاته، فما ظنك بغيره؟.

٣٠٥- {قُلْ يا أَيُّهَا الناس إِنَّمَا أَنَاْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} وإنما لم يقل: بشير ونذير، لذكر الفريقين بعده؛ لأن الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم، وهم الذين قيل فيهم: أفلم يسيروا، ووصفوا بالاستعجال، وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا.

الجزء الثامن عشر:

سورة المؤمنون:

٣٠٦- {الذين هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خاشعون} أضيفت الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلى له، لانتفاع المصلي بها وحده، وهي عدته وذخيرته، وأما المصلى له فغني عنها.

٣٠٧- {والذين هُمْ عَنِ اللغو مُّعْرِضُونَ} لما وصفهم بالخشوع في الصلاة، أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس، اللذين هما قاعدتا بناء التكليف.

٣٠٨- {فَمَنِ ابتغى وَرَاء ذلك فَأُوْلَئِكَ هُمُ العادون} فيه دليل تحريم المتعة، والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة.

٣٠٩- {والذين هُمْ على صلواتهم يُحَافِظُونَ} إعادة ذكر الصلاة؛ لأنها أهم، ولأن الخشوع فيها غير المحافظة عليها، ولأنها وحّدت أولاً ليفيد الخشوع في جنس الصلاة، أيّة صلاة كانت، وجُمعت آخراً ليفيد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل.

٣١٠- {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} قيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان، وخص هذه الأنواع الثلاثة؛ لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع.

٣١١- {فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التنور} أخرج سبب الغرق من موضع الحرق، ليكون أبلغ في الإنذار والاعتبار.

٣١٢- {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافرون} جعل فاتحة السورة قد: (أفلح المؤمنون) وخاتمتها: (إنه لا يفلح الكافرون) فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

سورة النور:

٣١٣- {الزاني لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً والزانية لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} الآية تزهيد في نكاح البغايا؛ إذ الزنا عديل الشرك في القبح، والإيمان قرين العفاف والتحصن.

٣١٤- {والخامسة أَنَّ غَضَبَ الله عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصادقين} وخُص الغضب في جانبها؛ لأن النساء يستعملن اللعن كثيراً كما ورد به الحديث، فربما يجترئن على الإقدام لكثرة جري اللعن على ألسنتهن، وسقوط وقعه على قلوبهن، فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعاً لهن.

٣١٥- {وَتَقُولُونَ بأفواهكم مَّا لَّيْسَ لَكُمْ بِهِ علم} إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم؛ لأن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب، ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب.

٣١٦- {وَلَوْلاَ (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) قُلْتُمْ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بهذا} فصل بين (لولا)، و(قلتم) بالظرف؛ لأن للظروف شأناً، وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها، وأنها لا تنفك عنها؛ فلذا يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها، وفائدة تقديم الظرف: أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهم قدم.

٣١٧- {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} لعجل لكم العذاب، وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب، مبالغة في المنة عليهم، والتوبيخ لهم.

٣١٨- لم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في إفك عائشة رضى الله عنها، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرر، وما ذلك إلا لأمر.

٣١٩- {وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً} انظر كيف رتب هذه الأوامر، فأمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية، وهو غض البصر، ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام، ثم بعزة النفس الأمارة

بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه.

٣٢٠- {يُسَبّحُ لَهُ فِيهَا بالغدو والآصال} أي: يصلي له فيها بالغداة صلاة الفجر، وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين، وإنما وحّد الغدو؛ لأن صلاته صلاة واحدة، وفي الآصال صلوات.

٣٢١- {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} الآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين، لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم.

٣٢٢- {فإذا استأذنوك لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لّمَن شئت منهم} فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام {واستغفر لَهُمُ الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل أن لا يستأذنوه، قالوا: وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم، ولا يتفرقون عنهم إلا بالإذن.

الجزء التاسع عشر:

سورة الفرقان:

٣٢٣- {إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا} دليل على فرط مجاهدة رسول الله ﷺ في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم، حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم.

٣٢٤- {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُون} إنما ذكر الأكثر؛ لأن فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا حب الرياسة، وكفى به داء عضالاً؛ ولأن فيهم من آمن.

٣٢٥- {لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهِ مِمَّا خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا} قدّم إحياء الأرض على سقي الأنعام والأناسي؛ لأن حياتها سبب لحياتهما، وتخصيص الأنعام من الحيوان الشارب؛ لأن عامة منافع الأناسي متعلقة بها فكأن الإنعام بسقي الأنعام كالإنعام بسقيهم.. ولما كان سقي الأناسي من جملة ما أُنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم، وبيانا أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم؛ لأن الطهورية شرط للإحياء.

٣٢٦- {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعاً ومروءة.

٣٢٧- {ولا يقتلون النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ ولا يزّنون} نفي هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم، كأنه قيل: والذين طهرهم الله مما أنتم عليه.

٣٢٨- {ويخلد (فيه) مهانا} إنما خص حفص الإشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد، والعرب تمد للمبالغة.

٣٢٩- {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} إنما قيل: (أعين) على القلة، دون (عيون)؛ لأن المراد أعين المتقين، وهي قليلة

بالإضافة إلى عيون غيرهم، قال الله تعالى: (وقليل من عبادي الشكور)، ويجوز أن يقال في تنكير أعين: إنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين، والمعنى: أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عمالاً لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم، وقيل: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: هو الولد إذا رآه يكتب الفقه.

سورة الشعراء:

٣٣٠- {أولم يروا إلى الأرض (كم) أنبتنا فيها من (كلّ) زوجٍ كريمٍ} فائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والإحاطة: أن كلمة (كل) تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، و(كم) تدل على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة، وبه نبه على كمال قدرته.

٣٣١- {قال ربكم ورب آبائكم الأولين} إنما قال: (ورَبّ آبائكم)؛ لأن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره، دون من تقدمهم.

٣٣٢- {يَأْتُوكَ بِكُلّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} جاءوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة، ليسكنوا بعض قلقه.

٣٣٣- {فَأُلْقِيَ السحرة ساجدين} عبر عن الخرور بالإلقاء بطريق المشاكلة؛ لأنه ذكر مع الإلقاءات، ولأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا.

٣٣٤- {فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَكُنُوزٍ} سماها كنوزاً؛ لأنهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى.

٣٣٥- {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} إنما لم يقل: أمرضني؛ لأنه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف إليه ما يقتضي الضير.

٣٣٦- {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} الكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة إثر مرة، حتى يستقر في قعرها، نعوذ بالله منها.

٣٣٧- {فَمَا لَنَا مِن شافعين وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ} جمع الشافع ووحد الصديق، لكثرة الشفعاء في العادة، وأما الصديق، وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك فقليل.

٣٣٨- {أمدكم بأنعام وبنين} قرن البنين بالأنعام؛ لأنهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها.

٣٣٩- {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مّنَ القالين} هو أبلغ من أن يقول: (قالٍ)؛ فقولك: فلان من العلماء، أبلغ من قولك: فلان عالم؛ لأنك تشهد بأنه مساهم لهم في العلم.

٣٤٠- {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز الرحيم} كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر، تقريرا لمعانيها في الصدور، ليكون أبلغ في الوعظ والزجر، ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختم بما اختتمت به.

سورة النمل:

٣٤١- {ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثيرٍ مّن عباده المؤمنين} في الآية دليل على شرف العلم، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجلّ النعم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من عباده.. وفيها: أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أتوه، وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير، فقد فضل عليه مثلهم.

الجزء العشرون:

٣٤٢- {يا أيها النّمل ادخلوا مساكنكم} ولم يقل: ادخلن؛ لأنه لما جعلها قائلة، والنمل مقولا لهم، كما يكون في أولي العقل، أجرى خطابهن مجرى خطابهم.

٣٤٣- {لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ} قدّم هنا: (هذا) على (نحن وآباؤنا)، وفي: المؤمنون (نحن وآباؤنا) على (هذا) ليدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا، وثَم المبعوث.

٣٤٤- {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصور فَفَزِعَ مَن فِي السماوات وَمَن فِي الأرض} اختير: فزع على يفزع؛ للإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة.

٣٤٥- {فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّكَ عَلَى الحق المبين} علل التوكل بأنه على الحق الأبلج، وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك، وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وبنصرته.

٣٤٦- {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ} خص مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها؛ لأنها أحب بلاده إليه وأعظمها عنده، وأشار إليها بقوله: هذه، إشارة تعظيم لها وتقريب، دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه، ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها.

سورة القصص:

٣٤٧- {آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} قال الزجّاج: جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان؛ لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين، والعالِم الحكيم من يعمل بعلمه؛ لأنه تعالى قال: (وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لو كانوا يعلمون)، فجعلهم جهالا إذ لم يعملوا بالعلم.

٣٤٨- {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى استحياء} أي: مستحية، وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عنصرها؛ لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها، ولم تعلم أيجيبها أم لا، فأتته مستحية قد استترت بكم درعها.

٣٤٩- {فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القصص قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القوم الظالمين} فيه دليل جواز العمل بخبر الواحد.

٣٥٠- {إِنَّ خَيْرَ مَنِ استأجرت القوى الأمين} كلام جامع؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان: الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك.

٣٥١- {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} ولم يقل: بنهار تتصرفون فيه كما قال: (بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ) بل ذكر (الضياء)، وهو ضوء الشمس؛ لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثم قرن بالضياء: أفلا تسمعون؛ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل: أفلا تبصرون؛ لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره من السكون ونحوه.

٣٥٢- {وَيَوْمَ يناديهم فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الذين كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء، ليؤذن أن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده.

الجزء الحادي والعشرون:

سورة العنكبوت:

٣٥٣- {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} إنما قال: ولذكر الله؛ ليستقل بالتعليل، كأنه قال: والصلاة أكبر، لأنها ذكر الله.

٣٥٤- {بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم} هما من خصائص القرآن، كون آياته بينات الإعجاز، وكونه محفوظاً في الصدور، بخلاف سائر الكتب؛ فإنها لم تكن معجزات، ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف.

٣٥٥- {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} لم يقل: لهي الحياة؛ لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب، والحياة حركة والموت سكون، فمجيئه على بناءٍ دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة.

٣٥٦- {والذين جاهدوا فينا} أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين.

سورة الروم:

٣٥٧- {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ (لَا يَعْلَمُونَ) * (يَعْلَمُونَ) ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} {يَعْلَمُونَ} بدل من {لا يعلمون}، وفيه: بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا.

٣٥٨- {ظَاهِراً مّنَ الحياة الدنيا} يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، وباطنها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزود منها إليها بالطاعة وبالأعمال الصالحة، وتنكير الظاهر يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها.

٣٥٩- {وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غافلون} فيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها.

٣٦٠- {فأما الذين آمنوا وَعَمِلُواْ الصالحات فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ} هي الجنة، والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه.

٣٦١- {ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله} تكرير {الذين آمنوا وعملوا الصالحات} وترك الضمير إلى الصريح، لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن.

٣٦٢- {وَلاَ تُسْمِعُ الصم الدعاء إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ} فإن قلت: الأصم لا يسمع مقبلاً أو مدبراً، فما فائدة هذا التخصيص؟ قلت: هو إذا كان مقبلاً يفهم بالرمز والإشارة، فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة.

سورة لقمان:

٣٦٣- {ولقد آتينا لقمان الحكمة أَنِ اشكر للَّهِ} نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما، وعبادة الله والشكر له؛ حيث فسر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر، وقيل: لا يكون الرجل حكيماً حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته.

٣٦٤- {يا بني أَقِمِ الصلاة وَأْمُرْ بالمعروف وانه عَنِ المنكر واصبر على مَا أَصَابَكَ} هذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأموراً بها في سائر الأمم.

٣٦٥- {واغضض مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأصوات لَصَوْتُ الحمير} لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار، وعن الثوري: صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار، فإنه يصيح لرؤية الشيطان، ولذلك سماه الله منكراً. وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، تنبيه على أن رفع الصوت في غاية الكراهة.

سورة السجدة:

٣٦٦- {ولكن حقّ القول منّي لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين} في تخصيص الإنس والجن، إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم.

٣٦٧- {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} عن الحسن رضى الله عنه: أخفى القوم أعمالا في الدنيا، فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وفيه دليل على أن المراد الصلاة في جوف الليل، ليكون الجزاء وفاقا.

٣٦٨- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} {إنّا من المجرمين منتقمون} ولم يقل: منه؛ لأنه إذا جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام، ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة.

٣٦٩- {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} فيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس.

سورة الأحزاب:

٣٧٠- {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ} خصوصاً، وقدم رسول الله على نوح ومن بعده؛ لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء، لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع، فلما كان مُحَمَّد ﷺ أفضل هؤلاء قدم عليهم، ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه.

الجزء الثاني والعشرون:

٣٧١- {وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله} خص الصلاة والزكاة بالأمر، ثم عم بجميع الطاعات تفضيلا لهما؛ لأن من واظب عليهما جرتاه إلى ما وراءهما.

٣٧٢- {إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرجس أَهْلَ البيت} فيه دليل على أن نساءه ﷺ من أهل بيته.

٣٧٣- {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النار} خصصت الوجوه؛ لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده.

سورة سبأ:

٣٧٤- {يا جبال أَوِّبِي مَعَهُ والطير} في هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى؛ حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم بالطاعة أطاعوا وإذا دعاهم أجابوا، إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد إلا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى، ولو قال: آتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة.

٣٧٥- {وبدلناهم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيء مّن سِدْرٍ قَلِيلٍ} عن الحسن: قلل السدر؛ لأنه أكرم ما بُدّلوا؛ لأنه يكون في الجنان.

٣٧٦- {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ (لعلى) هُدًى أَوْ (فِي) ضلال مُّبِينٍ} خُولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال؛ لأن صاحب الهدى كأنه مستعلٍ على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في الظلام لا يدري أين يتوجه.

٣٧٧- {وَقَالُواْ مَا هَذَآ إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} أي: وقالوا، والعدول عنه دليل إنكار عظيم وغضب شديد.

سورة فاطر:

٣٧٨- {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب والعمل الصالح يَرْفَعُهُ} فيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه، وقيل: العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه، أي: من أراد العزة فليعمل عملاً صالحاً، فإنه هو الذي يرفع العبد.

٣٧٩- {يا أيها الناس أَنتُمُ الفقراء إِلَى الله والله هُوَ الغني الحميد} لم يسمهم بالفقراء للتحقير، بل للتعريض على الاستغناء؛ ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الأغنياء، وذكر (الحميد)؛ ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، والجواد المنعم عليهم؛ إذ ليس كل غني نافعاً بغناه، إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم.

٣٨٠- {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى} إنما قيل: (وازرة) ولم يقل: ولا تزر نفس وزر أخرى؛ لأن المعنى: أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها.

٣٨١- {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} إنما قدم الظالم للإيذان بكثرتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل، وقال ابن عطاء: إنما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله. وقيل: إنما قدمه ليعرّفه أن ذنبه لا يبعده من ربه.

الجزء الثالث والعشرون:

سورة يس:

٣٨٢- {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فِي الفلك المشحون} إنما ذكر ذرياتهم دونهم؛ لأنه أبلغ في الامتنان عليهم.

سورة الصافات:

٣٨٣- {أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ* فواكه} فسّر الرزق المعلوم بالفواكه، وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة، يعني أن رزقهم كله فواكه؛ لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات؛ لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد، فما يأكلونه للتلذذ.

٣٨٤- {على سُرُرٍ متقابلين} التقابل أتم للسرور وآنس.

٣٨٥- {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن (مَّعِينٍ)} وصف بما وصف به الماء؛ لأنه يجري في الجنة في أنهار، كما يجري الماء، قال الله تعالى: وأنهار مّنْ خمر.

٣٨٦- {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين} علل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً، ليريك جلالة محل الإيمان، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم.

٣٨٧- {فبشرناه بغلام حَلِيمٍ} انطوت البشارة على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم؛ لأن الصبي لا يوصف بالحلم، وأنه يكون حليماً، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: سَتَجِدُنِي إِن شَاء الله مِنَ الصابرين.

سورة ص:

٣٨٨- {أَجَعَلَ الآلهة إلها واحدا إِنَّ هذا لَشَيءٌ عُجَابٌ} ولم يقل: وقالوا، إظهارا للغضب عليهم، ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي.

٣٨٩- {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} اختار (يُسَبّحْنَ) على مسبحات، ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال.. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية.

٣٩٠- {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخير عَن ذِكْرِ رَبِّيّ} سمى الخيل: خيراً، كأنها نفس الخير؛ لتعلق الخير بها، كما قال عليه السلام: الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.

٣٩١- {قَالَ رَبِّ اغفر لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً} قدم الاستغفار على استيهاب الملك، جرياً على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال.. وإنما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له، لا حسدا.

٣٩٢- {واذكر عِبَادَنَا إبراهيم وإسحاق وَيَعْقُوبَ أُوْلِى الأيدي والأبصار} أي: أولي الأعمال، والفكر؛ كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا يتفكرون أفكار ذوي الديات في حكم الزّمنى، الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول الذين لا

استبصار لهم، وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما.

٣٩٣- {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ* ولتعلمن نبأه بَعْدَ حِينٍ} ختم السورة بالذكر، كما افتتحها بالذكر.

سورة الزمر:

٣٩٤- {هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُونَ} تحريك لطلب العلم، وتوبيخ على الرضا بالجهل.

٣٩٥- {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين)} وصف خسرانهم بغاية الفظاعة؛ حيث صدّر الجملة بحرف التنبيه، ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرف الخسران، ونعته بالمبين، وذلك لأنهم استبدلوا بالجنة ناراً وبالدرجات دركات.

٣٩٦- {ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ الله} أي: إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم .. واقتصر على (ذكر الله) من غير ذكر الرحمة؛ لأن رحمته سبقت غضبه، فلأصالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالبال إلا كونه رؤوفا رحيما، وذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً؛ لأن محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب.

٣٩٧- {قرآنا عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} بريئاً من التناقض والاختلاف، ولم يقل: مستقيماً، للإشعار بألا يكون فيه عوج قط.

الجزء الرابع والعشرون:

٣٩٨- {وَسِيقَ الذين اتقوا رَبَّهُمْ إِلَى الجنة زُمَراً} المراد سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك {حتى إذا جاؤوها} هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف.

٣٩٩- {وَفُتِحَتْ أبوابها} قيل: أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها.. فلذلك جيء بالواو، وكأنه قال: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها.

سورة غافر:

٤٠٠- عن ابن عباس: الحواميم كلها مكية.

٤٠١- {الذين يَحْمِلُونَ العرش وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ)} وفائدته مع علمنا بأن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون: إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه، كما وصف الأنبياء في غير موضع بالصلاح لذلك، وكما عقب أعمال الخير بقوله: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الذين آمنوا) فأبان بذلك فضل الإيمان.

٤٠٢- روعي التناسب في قوله: {ويؤمنون به} {ويستغفرون للذين آمنوا} كأنه قيل: ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم، وفيه دليل على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة والشفقة وإن تباعدت الأجناس والأماكن.

٤٠٣- {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزفة إِذِ القلوب لَدَى الحناجر كاظمين} إنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء.

٤٠٤- {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها.

٤٠٥- {وَقَالَ الذين فِي النار لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ} إنما لم يقل: لخزنتها؛ لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً، ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعرا.

٤٠٦- {إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس} ولم يقل: لمفضل أو لمتفضل؛ لأن المراد تنكير الفضل، وأن يجعل فضلاً لا يوازيه فضل، وذلك إنما يكون بالإضافة.

سورة فصلت:

٤٠٧- {وَمِن بيننا وبينك حجاب} فائدة زيادة (من): أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسألة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها، ولو قيل: بيننا وبينك حجاب، لكان المعنى: أن حجاباً حاصل وسط الجهتين.

٤٠٨- {الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} إنما جعل منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة؛ لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته.. وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها.

٤٠٩- {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} إنما لم يقل: (طائعتين) على اللفظ، أو (طائعات) على المعنى؛ لأنهما سموات وأرضون؛ لأنهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات، ووصفن بالطوع والكره، قيل: طائعين في موضع طائعات، كقوله: {ساجدين}[يوسف ٤].

٤١٠- {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} كان القياس على هذا التفسير أن يقال: ادفع بالتي هي حسنة، ولكن وضع التي هِي أَحْسَنُ موضع الحسنة، ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة؛ لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها.

الجزء الخامس والعشرون:

سورة الشورى:

٤١١- {تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ} كان القياس أن يقال: ينفطرن من تحتهن، من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر؛ لأنها جاءت من الذين تحت السماوات، ولكنه بولغ في ذلك، فجعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن.

٤١٢- {الله الذى أَنزَلَ الكتاب بالحق والميزان وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة قَرِيبٌ} وجه مناسبة اقتراب الساعة، مع إنزال الكتب والميزان: أن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط، فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم.

٤١٣- {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخرة مِن نَّصِيبٍ} لم يذكر في عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب.

٤١٤- {وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} فالأولى سيئة حقيقة والثانية لا، وإنما سميت سيئة؛ لأنها مجازاة السوء، أو لأنها تسوء من تنزل به، ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة؛ لأنها إضرار، وإنما صارت حسنة لغيرها، أو تسمية الثانية سيئة إشارة إلى أن العفو مندوب إليه.

٤١٥- {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا} قدّم الإناث أولاً على الذكور؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان،

فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لايشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء، ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم؛ لأن التعريف تنويه وتشهير، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرّف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر، فقال: (ذُكْرَاناً وإناثا)، وقيل: نزلت في الأنبياء عليهم السلام؛ حيث وهب لوط وشعيب إناثا ولإبراهيم ذكورا ولمحمد ﷺ الله عليه وسلم ذكوراً وإناثاً، وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين.

سورة الزخرف:

٤١٦- {أو من ينشأ فِي الحلية وَهُوَ فِي الخصام غَيْرُ مُبِينٍ} فيه أنه جعل النشأة في الزينة من المعايب، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى.

٤١٧- {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} وهو القرآن {نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} فيه إشارة إلى أن من داوم عليه لم يقرنه الشيطان.

٤١٨- {وفيها مَا تَشْتَهِيهِ الأنفس وَتَلَذُّ الأعين} هذا حصر لأنواع النعم؛ لأنها إما مشتهيات في القلوب، أو مستلذة في العيون.

سورة الدخان:

٤١٩- {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا} (أمرا) نصب على الاختصاص، جعل كل أمر جزلاً فخماً، بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا.

٤٢٠- {يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين} في مجالسهم، وهو أتم للأنس.

سورة الجاثية:

٤٢١- {يسمع آيات الله تتلى عَلَيْهِ (ثُمَّ) يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً} جيء بـ (ثم)؛ لأن الإصرار على الضلالة، والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول.

٤٢٢- {وإذا علم من آياتنا شَيْئاً اتخذها هُزُواً} ولم يقل: (اتخذه)؛ للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات، ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه.

الجزء السادس والعشرون:

سورة الأحقاف:

٤٢٣- {وإذا تتلى عليهم آياتنا بَيِّنَاتٍ قَالَ الذين كَفَرُواْ لِلْحَقِّ} المراد بالحق: الآيات، وبالذين كفروا: المتلو عليهم، فوُضع الظاهران موضع الضميرين، للتسجيل عليهم بالكفر، وللمتلو بالحق، {لما جاءهم} بادأوه بالجحود ساعة أتاهم، وأول ما سمعوه، من غير إجالة فكر، ولا إعادة نظر.

٤٢٤- {قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى} إنما قالوا: من بعد موسى؛ لأنهم كانوا على اليهودية، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام.

٤٢٥- {وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم} قال أبو حنيفة رحمه الله: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لهذه الآية، وقال مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف ومُحَمَّد رحمهم الله: لهم الثواب والعقاب، وعن الضحاك: أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون؛ لقوله تعالى: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان).

سورة مُحَمَّد:

٤٢٦- {وآمنوا بِمَا نُزِّلَ على مُحَمَّدٍ} وهو القرآن، وتخصيص الإيمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه، وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية، وهي قوله: {وَهُوَ الحق مِن رَّبِّهِمْ}.

٤٢٧- {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لِذَنبِكَ)، فأمر بالعمل بعد العلم.

سورة الفتح:

٤٢٨- {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} جيء به على لفظ الماضي؛ لأنها في تحققها بمنزلة الكائنة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه، وهو الفتح مالا يخفى.

٤٢٩- {وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بالله وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا (للكافرين)} أي: لهم، فأقيم الظاهر مقام الضمير، للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين: الإيمان بالله والإيمان برسوله، فهو كافر.

٤٣٠- {قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعراب سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ} يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه.. وقيل: هم فاس وقد دعاهم عمر ﷺ ..وفي الآية دلالة صحة خلافة الشيخين؛ حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله: {فَإِن تُطِيعُواْ} من دعاكم إلى قتاله {يُؤْتِكُمُ الله أَجْراً حَسَناً} فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة.

سورة الحجرات:

٤٣١- {وَلاَ تَلْمِزُوآ أَنفُسَكُمْ} المؤمنون كنفس واحدة، فإذا عاب المؤمن المؤمن، فكأنما عاب نفسه.

٤٣٢- {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولاً، فقيل: قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ، مع أدب حسن؛ فلم يقل: كذبتم تصريحاً، ووضع: لَّمْ تُؤْمِنُواْ، الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه، واستغنى بقوله: لَّمْ تُؤْمِنُواْ، عن أن يقال: لا تقولوا آمنا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان، ولم يقل: ولكن أسلمتم، ليكون خارجاً مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم: آمنا كذلك، ولو قيل: ولكن أسلمتم، لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم، وهو غير معتد به.

٤٣٣- {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله وَرَسُولِهِ (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ)} لما كان الإيقان وزوال الريب ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيهاً على مكانه، وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا.

سورة ق:

٤٣٤- {وَإِخْوَانُ لُوطٍ* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} سماهم إخوانه لأن بينهم وبينه نسباً قريباً، {وَقَوْمُ تُبَّعٍ} هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه وسمي به لكثرة تبعه {كُلٌّ كَذَّبَ الرسل}؛ لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميعهم {فَحَقَّ وَعِيدِ} فيه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم.

٤٣٥- {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} إنما نكّر الخلق الجديد، ليدل على عظمة شأنه، وأن حق من سمع به أن يخاف ويهتم به.

٤٣٦- {ذلك حَشْرٌ (عَلَيْنَا) يَسِيرٌ} تقديم الظرف يدل على الاختصاص، أي: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن.

سورة الذاريات:

٤٣٧- {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ (سَلَامٌ) قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} العدول إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيّوه به، أخذا بأدب الله، وهذا أيضاً من إكرامه لهم.

٤٣٨- {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} من أدب المضيف أن يخفي أمره، وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه، وكان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر.

الجزء السابع والعشرون:

سورة الطور:

٤٣٩- {كأنهم لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ} في الصدف؛ لأنه رطباً أحسن وأصفى، أو مخزون؛ لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة.

سورة النجم:

٤٤٠- {إِذْ يغشى السدرة (مَا يغشى)} هو تعظيم وتكثير لما يغشاها، فقد عُلم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف.

سورة القمر:

٤٤١- {وفجرنا الأرض عيونا} وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر، وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض.

٤٤٢- {كأنهم أعجاز نخل منقعر} شُبِّهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس.

٤٤٣- فائدة تكرير {فذوقوا عذابي ونذر} أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا، وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وهذا حكم التكرير في قوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) عند كل نعمة عدها، وقوله: (ويل يومئذ للمكذبين) عند كل آية أوردها، وكذلك تكرير الأنبياء والقصص في أنفسها لنكون تلك العبر حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان.

٤٤٤- {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مقتدر} قادر، وفائدة التنكير فيهما أن يعلم أن لا شيء إلا هو تحت ملكه وقدرته.

سورة الرحمن:

٤٤٥- {الرحمن* علم القرآن} قدم من نعمة الدين ما هو أعلى مراتبها وأقصى مراقيها، وهو إنعامه بالقرآن، وتنزيله، وتعليمه؛ لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثرا، وهو سنام الكتب السماوية.

٤٤٦- {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ *والنجم والشجر يسجدان} لم يذكر العاطف في الجمل الأول، ثم جيء به بعد؛ لأن الأول وردت على سبيل التعداد تبكيتا لمن أنكر آلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور، ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله، للتناسب والتقارب بالعطف، وبيان التناسب: أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران

قرينتين، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر.

٤٤٧- {وَأَقِيمُواْ الوزن بالقسط وَلاَ تُخْسِرُواْ الميزان} كرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به، وتقوية للأمر باستعماله، والحث عليه.

٤٤٨- {فبأي آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} كررت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة، ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم -نعوذ بالله منها- والله أعلم.

سورة الواقعة:

٤٤٩- {فأصحاب الميمنة مَا أصحاب الميمنة} تعجب من حالهم في السعادة، وتعظيم لشأنهم، كأنه قال: ما هم، وأي شيء هم.

٤٥٠- {مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا متقابلين} ينظر بعضهم في وجوه بعض، ولا ينظر بعضهم في أقفاء بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة.

٤٥١- {ولقد علمتم النشأة الأولى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ} فيه دليل صحة القياس؛ حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى.

٤٥٢- {نحن جعلناها تذكرة ومتاعا لِّلْمُقْوِينَ} بدأ بذكر خلق الانسان، فقال: {أفرأيتم مَّا تُمْنُونَ}؛ لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم، ثم بما به قوامه، وهو الحب، فقال: {أفرأيتم مَّا تَحْرُثُونَ}، ثم بما يعجن به ويشرب عليه، وهو الماء، ثم بما يخبز به وهو النار، فحصول الطعام بمجموع الثلاثة، ولا يستغن عنه الجسد ما دام حياً.

سورة الحديد:

٤٥٣- {مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا} استعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء.

٤٥٤- {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} إنما قال: {بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبأيمانهم}؛ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم، فيجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية؛ لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا، أو بصحائفهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون، سعى بسعيهم ذلك النور.

٤٥٥- {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْض} ذكر العرض دون الطول؛ لأن كل ما له عرض وطول، فإن عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة، عرف أن طوله أبسط.

٤٥٦- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وإبراهيم} خصا بالذكر؛ لأنهما أبوان للأنبياء عليهم السلام.

الجزء الثامن والعشرون:

سورة الحشر:

٤٥٧- {فاعتبروا يا أولي الأبصار} دليل على جواز القياس.

٤٥٨- {مَّا أَفَاء الله على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل} إنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة؛ لأنها بيان للأولى، فهي منها غير أجنبية عنها، بيّن لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه.

٤٥٩- {وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ} نكر النفس تقليلاً للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة، {مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} يعني يوم القيامة، سماه باليوم الذي يلي يومك تقريباً

له، أو عبر عن الآخرة بالغد، كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد، وتنكيره لتعظيم أمره أي أنه لا يعرف كنهه لعظمه.

سورة الممتحنة:

٤٦٠- {لاَّ ينهاكم الله عَنِ الذين لَمْ يقاتلوكم فِي الدين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دياركم أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ} إذا نهى عن الظلم في حق المشرك، فكيف في حق المسلم؟

٤٦١- {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مؤمنات} العلم الذي تبلغه طاقتكم، وهو الظن الغالب بظهور الأمارات، وتسمية الظن علماً يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضي إليه القياس جارٍ مجرى العلم، وصاحبه غير داخل في قوله: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ).

سورة الصف:

٤٦٢- {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} قصد في (كبر): التعجب من غير لفظه.. ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره، وأسند إلى: (أن تقولوا) ونصب (مقتاً) على التمييز، وفيه دلالة على أن قولهم مالا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه.. واختير لفظ المقت؛ لأنه أشد البغض.

٤٦٣- {وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل} ولم يقل: يا قوم، كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه.

٤٦٤- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* (تُؤْمِنُونَ) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (وَتُجَاهِدُونَ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ} إنما جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

سورة الجمعة:

٤٦٥- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ} إنما خص البيع من بينها؛ لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال.

سورة المنافقون:

٤٦٦- {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ} إلى الحائط، شبهوا في اسنادهم -وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير- بالخشب المسندة على الحائط؛ لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكاً غير منتفع به أسند على الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع، أو لأنهم أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام.

سورة التغابن:

٤٦٧- {إِنَّمَا أموالكم وأولادكم فِتْنَةٌ} لم يدخل فيه (من) كما في العداوة [في قوله: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُم]؛ لأن الكل لا يخلو عن الفتنة، وشغل القلب، وقد يخلوا بعضهم عن العداوة.

سورة الطلاق:

٤٦٨- {واتقوا الله رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ} وهي بيوت الأزواج، وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى، وفيه دليل على أن السكنى واجبة.

٤٦٩- {سَيَجْعَلُ الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً} هذا وعد لذي العسر باليسر.

سورة التحريم:

٤٧٠- {وَنَجِّنِي مِنَ القوم الظالمين} فيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص عند المحن والنوازل، من سير الصالحين.

الجزء التاسع والعشرون:

سورة الملك:

٤٧١- {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ} قدم الموت على الحياة؛ لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه، فقُدّم لأنه فيما يرجع إلى المسوق له الآية أهم، ولما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله: {وَهُوَ العزيز الغفور}.

٤٧٢- {مَّا ترى فِي خَلْقِ الرحمن مِن تفاوت} وضع: خلق الرحمن، موضع الضمير، تعظيما لخلقهن، وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت، وهو أنه خلق الرحمن، وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب.

٤٧٣- {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ} اختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والهواء للطائر كالماء للسابح، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة، كما يكون من السابح.

٤٧٤- {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والأبصار والأفئدة} خصّها لأنها آلات العلم.

سورة القلم:

٤٧٥- {سَنَسِمُهُ عَلَى الخرطوم} على أنفه، مهانة له وعلماً يعرف به، وتخصيص الأنف بالذكر؛ لأن الوسم عليه أبشع.

٤٧٦- {أَنِ اغدوا (على) حَرْثِكُمْ} ولم يقل: إلى حرثكم؛ لأن الغدوّ إليه ليصرموه كان غدوّاً عليه.

سورة الحاقة:

٤٧٧- {مَا الحاقة} الأصل: الحاقة ما هي؟ أي شيء هي؟، تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها، أي: حقها أن يستفهم عنها لعظمها، فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل.

٤٧٨- {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} إنما أُجري الظن مجرى العلم؛ لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والأحكام؛ ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر، وهي تفضي إلى الظنون، فجاز إطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه.

٤٧٩- {وَلاَ يَحُضُّ على طَعَامِ المسكين} فيه دليل قوي على عظم جرم حرمان المسكين؛ لأنه عطفه على الكفر، وجعله دليلاً عليه، وقرينة له، ولأنه ذكر الحض دون الفعل ليُعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق.

٤٨٠- {لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين} لقتلناه صبراً، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم، معاجلة بالسخط والانتقام، فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو أن يأخذ بيده وتضرب رقبته، وخص اليمين؛ لأن القاتل إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف -وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف- أخذ بيمينه.

سورة المعارج:

٤٨١- {إِنَّا خلقناهم مِّمَّا يَعْلَمُونَ} أي: من النطفة المذرة، ولذلك أبهم، إشعاراً بأنه منصب يستحيا من ذكره، فمن أين يشترفون؟ ويدعون التقدم؟ ويقولون: لندخلن الجنة قبلهم؟.

سورة نوح:

٤٨٢- {قال يا قومِ} أضافهم إلى نفسه إظهاراً للشفقة.

٤٨٣- {أن اعبدوا الله واتقوه (وَأَطِيعُونِ)} إنما أضافه إلى نفسه؛ لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة.

٤٨٤- {ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً} وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالأهون ثم بالأشد فالأشد فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان، و(ثم) تدل على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما.

٤٨٥- {مِّمَّا خطيئاتهم أغرقوا فَأُدْخِلُواْ نَاراً} تقديم (مِّمَّا خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم في النيران إلا من أجل خطيئاتهم.. وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا.. والفاء في (فأدخلوا) للإيذان بأنهم عذبوا بالإحراق عقيب الإغراق، فيكون دليلاً على إثبات عذاب القبر.

سورة الجن:

٤٨٦- {وأنه لما قام عبد الله يَدْعُوهُ} لم يقل: نبي الله أو رسوله؛ لأنه من أحب الأسماء إلى النبي ﷺ؛ ولأنه لما كان واقعا في كلامه ﷺ عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع، أو لأن عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبداً.

سورة المزمل:

٤٨٧- {رَّبُّ المشرق والمغرب لاَ إله إِلاَّ هُوَ (فاتخذه) وَكِيلاً} فائدة الفاء: ألا تلبث بعد أن عرفت في تفويض الأمور إلى الواحد القهار؛ إذ لا عذر لك في الانتظار بعد الإقرار.

٤٨٨- {فعصى فِرْعَوْنُ الرسول فأخذناه أَخْذاً وَبِيلاً} إنما خص موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة؛ لأن خبرهما كان منتشراً بين أهل مكة؛ لأنهم كانوا جيران اليهود.

٤٨٩- {وآخرون يَضْرِبُونَ فِي الأرض يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ الله وآخرون يقاتلون فِي سَبِيلِ الله} سوّى بين المجاهد والمكتسب لأن كسب الحلال جهاد .. {فاقرؤوا ما تيسر من} كرر الأمر بالتيسير لشدة احتياطهم.

٤٩٠- {وَأَقْرِضُواْ الله} إنما أضافه إلى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه، وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القربة، فلا يكون له عليه منه بل المنة للفقير عليه.

سورة المدثر:

٤٩١- {عَلَى الكافرين غَيْرُ يَسِيرٍ} أكد بقوله: (غَيْرُ يَسِيرٍ) ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين، أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيراً، كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.

سورة الإنسان:

٤٩٢- {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حسبتهم لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً} تخصيص المنثور لأنه أزين في النظر من المنظوم.

الجزء الثلاثون:

سورة النبأ:

٤٩٣- {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} هذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه؛ لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية.

٤٩٤- {يَوْمَ ينظُرُ المرءُ ما قدّمت يداه} تخصيص الأيدي؛ لأن أكثر الأعمال تقع بها، وإن احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام {وَيقولُ الكَافِرُ} وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم.

سورة النازعات:

٤٩٥- {وَأَهْدِيَكَ إلى رَبِّكَ} وأرشدك إلى معرفة الله {فتخشى}؛ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة.

سورة عبس:

٤٩٦- {وصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} بدأ بالأخ، ثم بالأبوين؛ لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أحب.

سورة التكوير:

٤٩٧- {بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} فيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب.

٤٩٨- {والصبح إِذَا تَنَفَّسَ} لما كان إقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفساً له مجازاً.

سورة الانفطار:

٤٩٩- {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} في تعظيم الكَتَبة بالثناء عليهم: تعظيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله من جلائل الأمور، وفيه إنذار وتهويل للمجرمين، ولطف للمتقين، وعن الفضيل أنه إذا قرأها قال: ما أشدها من آية على الغافلين.

سورة المطففين:

٥٠٠- {الذين إِذَا اكتالوا عَلَى الناس يَسْتَوْفُونَ} لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك.

سورة البروج:

٥٠١- {وهم على مَا يَفْعَلُونَ بالمؤمنين شُهُودٌ} فيه حث للمؤمنين على الصبر، وتحمل أذى أهل مكة.

سورة الطارق:

٥٠٢- {وَمَا هوَ بالهزل} وصفه الله بذلك أن يكون مهيباً في الصدور، معظماً في القلوب، يرتفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل.

سورة الأعلى:

٥٠٣- {(ثُمَّ) لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يحيى} قيل بـ (ثم)؛ لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي، فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدة.

سورة الغاشية:

٥٠٤- {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} إنما خص الوجه؛ لأن الحزن والسرور إذا استحكما في المرء أثرا في وجهه.

٥٠٥- {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} فائدة تقديم الظرف: التشديد في الوعيد، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبّار المقتدر على الانتقام.

سورة الضحى:

٥٠٦- {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى} ذكر: أن الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر.

سورة القدر:

٥٠٧- {إِنَّا أنزلناه فِي لَيْلَةِ القدر} عظّم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره، وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه، ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه.

سورة البينة:

٥٠٨- {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ} إنما أفرد أهل الكتاب بعد ما جمع أولاً بينهم وبين المشركين؛ لأنهم كانوا على علم به، لوجوده في كتبهم، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف.

سورة الزلزلة:

٥٠٩- {وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} هي أحكم آية، وسميت الجامعة.

سورة العصر:

٥١٠- {فَإِنَّ مَعَ العسر يُسْراً إِنَّ مَعَ العسر يُسْراً} جيء بلفظ (مع) لغاية مقاربة اليسر العسر، زيادة في التسلية ولتقوية القلوب، وإنما قال عليه السلام

عند نزولها: لن يغلب عسر يسرين؛ لأن العسر أعيد معرّفاً فكان واحداً؛ لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى، واليسر أعيد نكرة، والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى.

سورة المسد:

٥١١- {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مّن مَّسَدٍ} تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تحقيراً لها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات، لتجزع من ذلك، ويجزع بعلها، وهما في بيت العز والشرف، وفي منصب الثروة والجِدة.

سورة الفلق:

٥١٢- {وَمِن شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} إنما عرّف بعض المستعاذ منه، ونكر بعضه؛ لأن كل نفاثة شريرة؛ فلذا عرفت النفاثات، ونكر غَاسِقٍ؛ لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسر لا يضر، ورُبّ حسدٍ يكون محموداً كالحسد في الخيرات.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.